

فنّ تشكيلي

هوغيت كالان "الطفلة البوهيمية":
الفنّ حتى الـرمق الأخير

من كان يصدق ان ابنة بشارة الخوري، اول رئيس للجمهورية اللبنانية، ستكون من المساهمات في الحدّثة الفنية للمحترف التشكيلي اللبناني؟ لا شيء في مسيرة هوغيت كالان كان يشي بذلك. كان مقدرها لها ان تعيش حياة رغيدة كبنات طبقتها، وتزوج وتربي اطفالها وتخالط عليّة القوم. لكن هذه الطفلة البوهيمية اختارت قدرها: الفن حتى النفس الاخير



هوغيت كالان وابنتها بريجيت عام 2014.

كان كل شيء في مسار هوغيت كالان (1931)، مهياً لقدرة واحد: ان تعيش حياة امرأة مرفهة من عليّة القوم، تقترن باحد بورجوازي طبقتها، وتمضي ايامها في الصالونات المخملية تحتمي الشاي مع سيدات مجتمعه، وتقيم الانشطة الخيرية في اوقات الضجر. الا ان هذه الطفلة المرحّة، المتفائلة بطبعها والنهمة الى الحياة، لن ترضى بهذا القدر، ولا بان توسم وتختصر بالرجال الذين مروا في حياتها، بدءاً من رجلها الاول: والدها. كان عبء والدها وحده ثقيلاً على كاهل الطفلة هوغيت. كيف لا، وهو اول رئيس للجمهورية اللبنانية؟ انه بشارة الخوري، وهوغيت سيكتب لها ان

احب كل دقيقة في حياتي،
واعصرها كبر تقاليد،
والتهمها حتى الشهور

اعمالها تغرف
من الروانج والاقمشة
واللحظات العائلية

كان يقيم في بيروت. ثم ستزوج باكراً من حبيب الطفولة وتنجب منه اطفالها. وقد شاءت الاقدار ان يكون فرنسياً، ما اثار تملل عائلتها. لكن هذه الحياة لن تكفي هوغيت التي كانت مقتنعة بان لديها جناحين، وبان قدرها ليس الاستقرار، بل الطيران ومعانقة الاحتمالات الكثيرة التي تقدمها لها الحياة. كتبت على هذه الفتاة القلقة ان تصنع مع كوكبة من مجالبيها كشافيق عيود (1926 - 2004)، وايفيت اشقر (1928)، وهيلن الخال (1923 - 2009) وغيرهم الحدّثة الفنية في المحترف التشكيلي اللبناني في مرحلة ما بعض الاستقلال، وتأثيراتهم ستمتد لتطبع الاجيال الفنية اللاحقة.

بعد خمس سنوات من معرض استعادي ضخم خصصه لها "مركز بيروت للفن" في حضورها شخصياً، تعود هوغيت كالان الى بيروت او اقله طيفها هذه المرة. تحت عنوان "هوغيت كالان: 1964"، تخصص غاليري "جانين ربيز" معرضاً للفنانة الثمانية يضيء على المرحلة المفصلية من مسيرتها المهنية والفنية: انه عام 1964 الذي سيشهد تحولا في شخصية كالان شكلا ومضمونا. في تلك السنة توفي والدها. لكن المفارقة ان هذا الحدث الحزين سيحرر الشابة، ويفك اسرها ويطلقها الى مصيرها السعيد. تلك اللحظة ستشهد تمرداً الكامل على محيطها الاجتماعي. ستدخل الى الجامعة الاميركية في بيروت لتدرس الفن، قبل ان تترك زوجها واطفالها وتعاقد الحياة البوهيمية الفرنسية عام 1970. في الواقع، يمكن تقسيم المراحل الفنية التي مرت بها كالان، انطلاقاً من المراحل الشخصية التي عاشتها. هناك المرحلة الاولى التي تبدأ عام 1964، ثم المرحلة الباريسية (1970 - 1987)، ثم المرحلة الاميركية (1987 - حتى اليوم). مع وفاة والدها، لجأت كالان الى منزل العائلة في الكليسيك واختارت محترفاً لها. منزل كناية عن مزرعة قديمة، سيكون عبثتها الى عوالم جديدة مدهشة ومط عيش مختلف. هنا، ستخلع قفازات مجتمعه، وترتدي العباءات والقفاطين التي تتيح للجسد التنفس والتحرك بحرية في صورة مجازية معبرة عن حياة كالان نفسها التي انعتقت من قيودها ◀

نقطة على السطر

من أجل إحياء الذاكرة البصرية
للشعب اللبناني

حين اختارت "غاليري جانين ربيز" ان تسلط الضوء على اعمال الفنانة اللبنانية الراحدة هوغيت كالان التي انتجت في سنة معينة دون سواها (عام 1964 تحديداً)، وان تخصص لها معرضاً كاملاً حالياً في بيروت، كانت توجه الينا رسالة واضحة. ان مسار اي فنان يتألف من المراحل والحقب، ومن تسلسلها وتراكبها وتراكمها تتكوّن حركة الفن في بلد ما.

صحيح ان السنوات الاولى من عقد الستينات كانت خصبة جداً، ومفصلية في حياة هوغيت كالان، في قلب بيروت الحدّثة المنفتحة على تجارب العالم والمتفاعلة معها. لكن هذا الاختيار يذكرنا ايضاً بأن التعامل مع نتاج فنان (او جيل من الاجيال، او مدرسة تشكيلية ما)، واعادة قراءته، هو مهمة شائقة وحيوية، تبدأ من الحفظ والتوثيق، من دونها لا تستقيم وتحفظ الذاكرة الثقافية للشعب من الشعوب. علماً ان الذاكرة البصرية هي في صلب الهوية الوطنية وان كنا لا نوليها دائماً الاهتمام الذي تستحق في لبنان. ليس هناك اليوم من يتصدى لهذه المهمة، خارج الغاليريات التي تتوخى الربح، ويقوم نشاطها على التجارة - وهذا حقها ودورها الطبيعيان - الا مؤسسات قليلة خجولة في القطاع الخاص، او مدعومة من منظمات اجنبية. معظم هذه المؤسسات التي تلعب دوراً مهماً في حفظ ذاكرتنا، يقوم على مجموعات خاصة راكمها متذوّق او هاو جمع تحفاً فنية بثروته الخاصة، ومبادراته الفردية.

ومع التأكيد على فضل كل هذه المبادرات، ودورها الثمين في تأطير الحركة التشكيلية اللبنانية، وابقاء الاسماء والتجارب والاعمال الكبيرة حاضرة في الوجدان الجماعي، الا انها كما اشرنا تخضع لمزاجات فردية، ومصالح خاصة، وتعيش في فضاءات مقلقة ليست جزءاً من الحيز العام، المفتوح لنا جميعاً في كل وقت.

نعم من حق الشعب اللبناني ان يكون لديه، مثل المستشفى والمدرسة والطرق والماء والكهرباء، متحف وطني يجمع تراثه التشكيلي. ويعرف بهذا التراث، ويقدمه للاجيال المقبلة. عند ابواب اي ثانوية او جامعة في لبنان، أسألوا الطلاب ان كانوا يعرفون من هو شفيق عيود او صليبا الدويهي او حليم جرداق او بول غيراغوسيان... ستصابون بالذهول. اصلاً شفيق عيود وصليبا الدويهي غيبهما الموت في المنفى واعمالهما لدى الورثة او في متاحف العالم والمجموعات الخاصة، ولدى بعض الغاليريات التي تعرضها للبيع. ماذا عن حضور هذه الاعمال في المشهد العام، في حياتنا اليومية، في ذاكرتنا البصرية. صفر طبعاً.

اليست هذه مسؤولية الدولة اللبنانية؟ ليس فقط وزارة الثقافة التي لا تملك لا السياسات ولا الامكانيات، بل الدولة بأسرها. هل تعرفون ان لدى وزارة الثقافة ثروة من اللوحات تغطي عقوداً من الانتاج الفني، وتتضمن تحفاً لبعض المعلمين الكبار؟ حتى الامس القريب كانت تلك المجموعة تتخثر في الاقبية الرطبة، او تعيش تحت رحمة سياسيين يسمعون لانفسهم بالتصرف بها كأنها ملكهم الخاص. جاء وزير سابق وحاول انقاذ الوضع، واخراجها وعرضها وترميمها، بامكانياته المحدودة. ثم مضى وترك تلك الثروة لمصيرها البائس والغامض. فقط مجموعة وزارة لثقافة - على امل في ان تكون لا تزال كاملة ومحفوظة جيداً - تصلح نواة لمتحف وطني كبير، يعيد الاعتبار الى كرامتنا الوطنية.

الوقت يلعب ضد لبنان في هذا الموضوع، ولا بد من التحرك بسرعة. لنتنظر الحكومة التي ستتمخض عن الانتخابات النيابية، نرفع ايدينا تضرعاً الى السماء.

سمير مراد



من لوحاتها



والحرب والمنفى والحرية التي خزنتها ذاكرتها البيروتية.

وسيزداد طغيان الذكريات على اعمالها مع انتقالها الى الولايات المتحدة. فبعد 17 عاما من الإقامة في باريس، ستعيش هوغيت مرحلتها الانتقالية الثالثة التي سيكون عنوانها مرحلة استعادة الذكريات. في عام 1987، ستستقر نهائيا في فينيسا في كاليفورنيا وتختار موطنها النهائي، من دون ان يغادر المكان الاول موقعه الراسخ في ذاكرتها واعمالها. في الخمسين من العمر، عاشت وعاشت كل ما عاشته، ستبلغ ذروة النضج في هذه المرحلة، ما سينعكس في اعمالها.

خلال السنوات العشرين اللاحقة، ستصل كالان الى مرحلة التكريس. ستعرض في بيروت، وباريس، وروما، البندقية، برشلونة، طوكيو. في منزلها المزين بكل اعمالها على اختلافها من النحت والرسوم، الى زخرفة السجاد والعباءات الشرقية، تعيش هوغيت كالان ايامها ملكة متوجة بسيرة استثنائية لطفلة عاشت عصيانها بفطرية. يعاونها فريق شاب "يملك عينا اكثر طزاجة من عيني" كما قالت في احدى المقابلات التلفزيونية معها. لكن كل اعمالها تقريبا في هذه المرحلة، تستدعي ذكرياتها في بيروت.

يمكن اختصار مسيرة هوغيت كالان بانها طفلة ابدية تهوى اللعب بالالوان، وتتمتع بحس فكاهة تعكسه في لوحاتها ورسوماتها المشاغبة التي تناوش المجتمع من دون ان تستفز. تقول في احد لقاءاتها: "اذا فاجأك الموت، وانت تقوم بما اخترت القيام به، ستموت من دون رغبة بذلك. لكن لن تكون تعيشا لمغادرة هذه الحياة التي احببتها رغم النصيب الوافر من الاحزان والظلم والمعاناة التي عشتها. الصبر الذي اكتسبته خلال سنوات حياتي الطويلة، علمني عدم الخوف من الحياة ولا من الموت. كلما امضيت وقتي منكبة على لوحتي، احسست انني اطيح عمري واقامتي على هذه الارض". وتختتم: "احب كل دقيقة في حياتي. واعصرها كبرتقالة، والتهمها حتى القشور، لاني لا اريد تفويت شيء منها".

س. م



في مراحل الصبا.

الاحتمالات في السبعينات من القرن الماضي، ظل الجسد هاجسا ومخيما على لوحاتها واعمالها واشتغالاتها الاخرى. في الـ 39 من عمرها، ستولد هوغيت كالان فعلا. كان النحت عنوان تلك المرحلة الصاخبة باللقاءات الفكرية والفنية والشخصية. في تلك الفترة ايضا، انجزت رسومات لاعمال شعرية كثيرة حملت توقيع شعراء بارزين من امثال ادونيس واندرية شديد. كذلك، التقت ببيار كاردان، وصممت له يومها سلسلة قفاطين جريئة جدا، عكست حس الفكاهة العالي لدى الفنانة واسلوبها اللعوب، ومناعشتها الحياة والجسد بخفة فريدة من نوعها. نقاد تلك المرحلة ربطوها بالفنانة الاميركية الفرنسية نيكي دو سان فال (1930 - 2002) والاميركية جورجيا اكييف (1887 - 1986)، لناعية استكتشافها الاشكال الطبيعية وعوالم الحميمية والحب والمرأة بالوان زاهية مضيئة تحتفي بالانوثة والنشوة. ورغم ان تلك الخطوط في لوحاتها، المليئة بالحسية والالوان الدافئة تذكر بالحركات الفنية الطبيعية من السورالية الى التعبيرية التجريدية، الا ان كل عمل انجزته كالان كان فريدا يغرف من الروائح والاقمشة واللحظات العائلية، والحب

ومجتمعها البورجوازي المتزمت. راحت ترسم اعمالا استهلكت المناخ الشعري الذي كان يوفره هذا المنزل المحاط بالخضرة، والاشجار المثمرة، مانحا وجهه لزرقة البحر. الوان مبهجة وفرحة تحتفي بالحياة، ستجد صداها في اللوحات التي ستجزها هوغيت في خلوتها. ايضا، كانت اللقاءات التي احتضنها هذا المنزل، مصدر الهام للفنانة التي عاشت لحظات جميلة مع اصداقائها المقربين اولهم هلين الخال، وعارف الرئيس، ومصطفى العريس، ومي جنبلاط، والعراقي وضاح فارس. تلك السنة الانتقالية شهدت اعمالا هندسية وتجريدية احتلها الجسد بشكل اساسي، مع تقنيات متنوعة اكبت فيها هوغيت على التجريب والاختبار. وهذا ما نراه في معرض غاليري "جانين ريبز" في الروشة الذي يضم 10 اعمال تعرض للمرة الاولى، وتعكس المناخ التجريدي والتكبيبي، الى جانب بورتريات ورسوم ايروتيكية لنساء في وضعيات مختلفة.

هذه المرحلة بافكارها وتيماتنا وتقنياتها، ستشكل ركيزة المراحل اللاحقة في مسيرة هذه الفنانة. فحين اعلنت القطيعة مع حياتها السابقة وتركت عائلتها خلفها، بعدما شدت رحالها الى باريس عاصمة